

في نور محمد فاطمة الزهراء

اختلاف، ومن اتَّفاق بعد شقاق، أثراً من يمن ضيفة له نزلت عليه آنذاك، وليدة جديدة بنيسة زادت في عدد الأسرة السعيدة. في الحجرة الواسعة قبالة باب الدار، التي كانت مخدع الزوجين الكريمين، وضعتها الأم. لَكَم فرحت بها خديجة، فلعلَّها قد هدَّأها، كما لم تُهدِّأ من قبل بمولودة، أن رأت في محيِّباً الابنة الضاحي، طلعة أبيها الحبيب. وكم فرح محمد، لعلَّه قد هدَّأه أن وقع في روعه تلك الساعة: أن صغيرته هذه ستكون أم عترته الأطهار. إنَّ العرب أُمَّة تطلق لفظة «الأبتر» على من لا ولد له من الذكور، تكره أن تنجب الإناث، تؤثّر أن تزفَّ البنت إلى القبر على أن تزفَّها للعروس. (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) [255]. فإذا كان الزوجان الكريمان قد خامرهما الحنين إلى مولود ذكر بعد ثلاث بنات، فذاك حنين طبيعي، ولكنَّه موقوت، ما كان ليغيِّر شيئاً من حبِّهما الغامر لهذه الوافدة الذي ليس كمثله حبٌّ، ومن إيمانهما الثابت بأنَّ الخير كلُّ الخير فيما شاءه الله. أَوَ ما طهرَّهما الله من رواسب الجاهلية؟ أَوَ ما جنَّبيهما الخضوع لتقاليد مجتمعهما الضالِّ؟ وها هي هذه الابنة الأخيرة، تأتي وفي ركبها البركة، كما كان مولد أبيها من قبل، بشيراً بنجاة قريش من حرب أهلية ضروس [256]، كانت حريصة بأن تنشر الموت والخراب. يُمن من يُمن، نجم سعيد يلد، يلد له نجم سعيد.